مكتبة التلميذ

قصص من الشرق والغرب

١٠

الطيور البيضاء

للدكتور ابراهيم مصطفى

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة مصر بشارع الفجالة ٦٣

الطّيورُ البيضاءُ

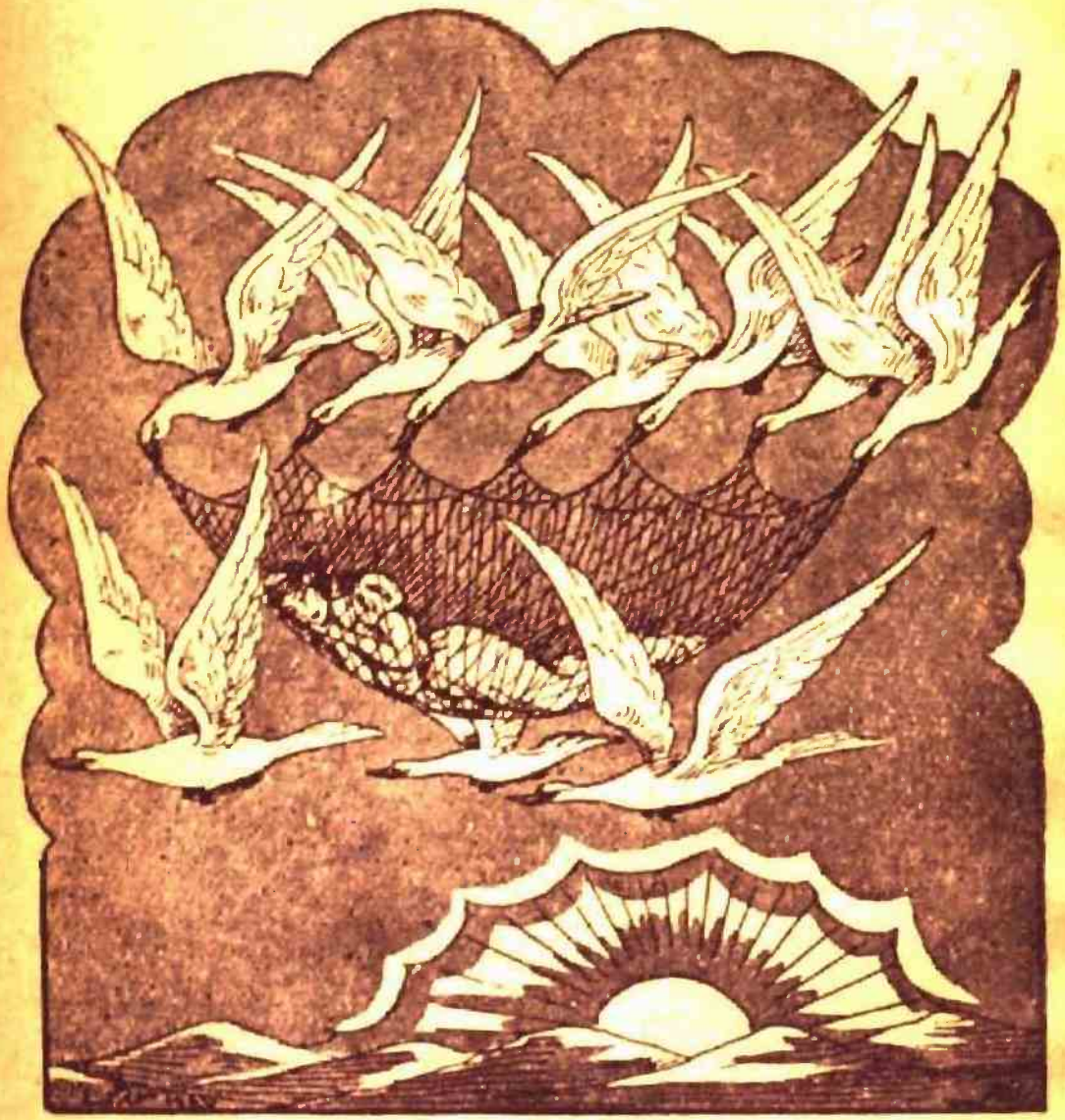

مكتبة مصر
٦٣ شارع الفجالة بالقاهرة

الطيور البيضاء

١

كان ملكٌ له عشرةُ أبناء، وبنتٌ واحدة تسمى أليزا، ماتتْ أمُّهم الملكة، فتزوجَ الملكُ من زوجة أُخرى. وكانت هذه امرأةً رديئةَ الطباع، ولكنَّ الملكَ كان يُحبُّها حبًّا شديداً، ويُطيعها طاعةً عمياء. فطلبتْ منه أن يُبعِدَ أولادَه عن القصر، بحُجةِ أنّ أخلاقَهم سيئة، فأجابها إلى طلبِها، وصرّح لها أن تفعلَ بهم ماتشاء. فأرسلتْ الابنةَ لتعيشَ فى كوخ رجلٍ فقير، يعيشُ فى أطرافِ المملكة. وكانت الملكةُ على إلمام بالسّحر، فحوَّلتِ الأبناء العشرةَ إلى طيورٍ بيضاء. فطاروا فى السَّماءِ فوقَ التِّلالِ والأنهار، حتى وصلوا إلى غابةٍ بعيدة، بالقُربِ من البحر.

٢

ومرت على تلك الحادثة ثلاثة أعوام ، وشعر الملكُ بالوَحدة ، وحنَّ إلى رؤيةِ أولاده ، فأمر بإعادتهم إلى القصر ، فلمْ يجد الباحثونَ غير الابنة ، التى كانتْ تعيشُ فى الكوخ ، وكانتْ قد أصبحتْ غادةً هيفاء ، ذات جمالٍ رائع . فلما رأتْها الملكةُ استشاطتْ غَضَباً وغيظا ، وعزمتْ على التخلّص منها مهما كلَّفها الأمر . أرادت أن تحوّلها إلى طائر ، ولكنَّها خافتْ بطشَ الملك ، ففكرتْ فى طريقةٍ أخرى ، فأحضرتْ بعضَ الماء ، ووضعتْ فيه مسحوقاً سِحرِيّا ، وطلبتْ من أليزا أن تغسِلَ وجهَها بهذا الماء لتظهرَ جميلة أمامَ والدِها . فغسلتِ الفتاةُ وجهَها بالماءِ المسحور ، فتحول إلى وجهٍ قبيح المنظر ؛ فلم يكدْ يراها

أبوها حتى أنكر أنها ابنته ، وأمرَ بطردِها فى الحال .

٣

خرجتِ الأميرةُ هائمةً على وجهِها ، مُتنقِّلةً من مكانٍ إلى آخر ، حتى وصلتْ إلى غابةٍ قريبةٍ من النَّهر ، ونظَرتْ إلى وجهِها فى الماء ، فرأتهُ قبيحَ المنظر . فعرفتِ السّرَّ فى طردِها . ولما غسلتْ وجهَها بالماء ، رجَعَ جميلاً كما كان . وسارتْ فى الغابة ، تبحثُ عن طَعام أو مأوى حتى وجدتْ امرأةً عجوزاً ، فسألتها عن شىء تأكلُه ، فأحضرت لها العجوز طعاما ، ثم أخذت تُحدِّثُها عن إخوتِها ، وأخبرتْها أنهم تحوّلوا إلى طيورٍ بيضاء ، وهم موجودون فى تلكَ الغابة ، وهم يظهرون فى النَّهار طيورا ، ويتحوّلون فى الليل إلى أمراء .

٤

ولم يمضِ غيرُ قليل ، حتى رأتْ أليزا عَشَرَةَ طيورٍ

ولما غسلت وجهها رجع جميلا كما كان

بيضاء ، تحلقُ فى السّماء ، وتهبط إلى الأرضِ بالقُربِ منها ، فنادتها بأسماء إخوتِها ، فنظرتِ الطُّيور إليها ، واقتربتْ منها ، وبقيتْ معَها حتى غربتِ الشَّمس . وعندئذ تحولتْ أمراء ، نظروا إليها مندهِشين ، وسألوها كيفَ عرفتْ أسماءَهم ، فأخبرتهم أنها ألِيزا ؛ وكان لقاءً حارًّا مُؤثِّرا . ولما أشرقتِ الشمسُ فى الصَّباح تحوّل الأمراءُ إلى طيورٍ بيضاء ، حلّقتْ فى السّماء .

فتقدمتِ العجوزُ من الفتاة ، وقالت لها : إذا كنتِ تُريدينَ إنقاذَ إخوتِك ، فخذى الخيوطَ التى فى سيقانِ هذا النبات ، وانسِجى منها قماشًا ، واصنعى هذا القماش عشرَةَ معاطف ، وإياك أن تتكلّمى حتى يتم العمل ، مهما طالتِ الأيّامُ واللّيالى .

فقامتْ إليزا فى الحال ، وجمعتْ سيقان النبات ،

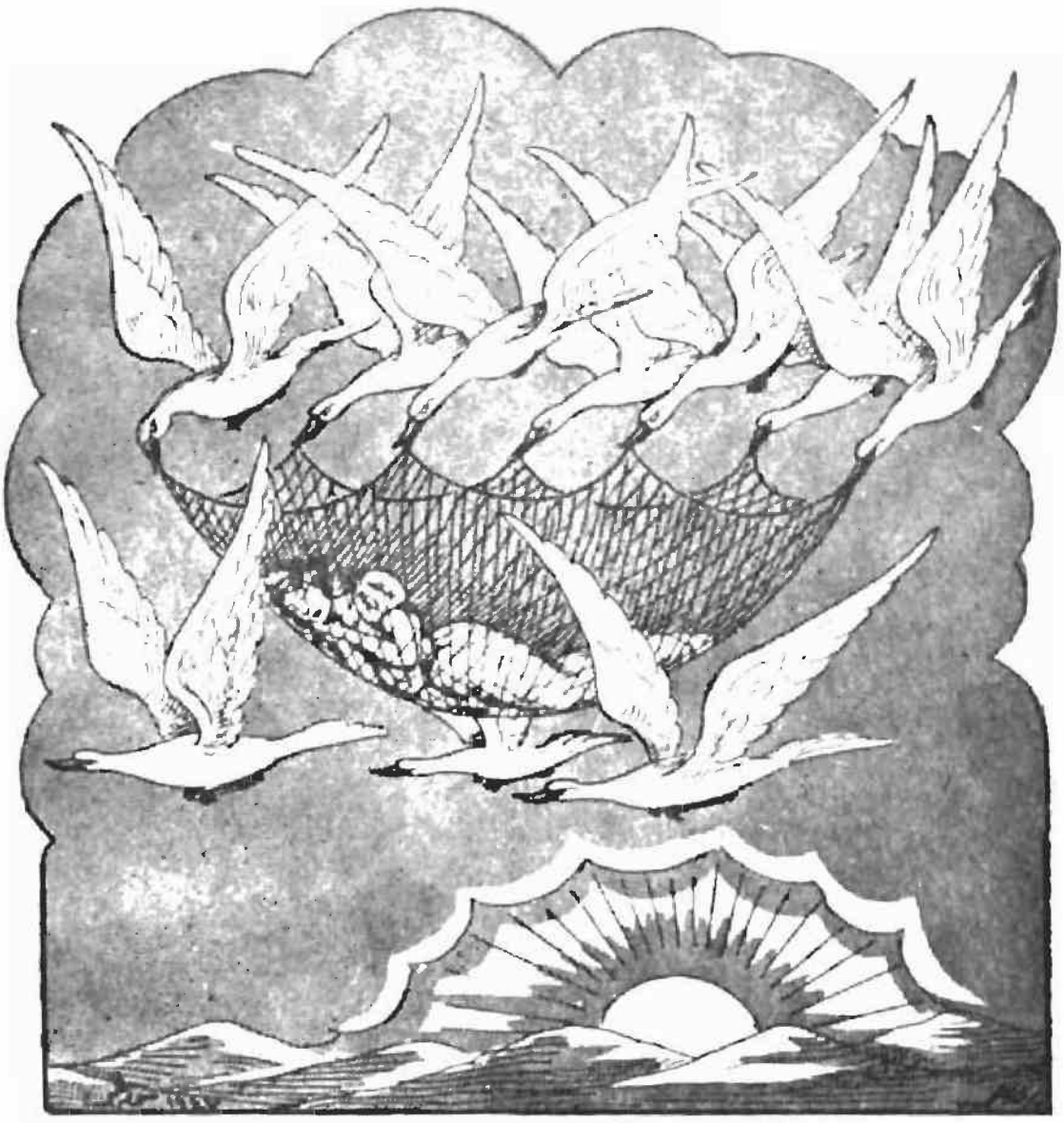

أليزا والطيور البيضاء

وحوَّلتهُ إلى خيوط ، وابتدأتْ فى نسجِه ، ودأبتْ على العملِ أيامًا كثيرة ، من غيرِ أنْ تتكلم .

٥

وذاتَ يوم ، رأتْ فارِسًا جميلاً واقِفا بالقُرب منها ، ينظرُ إليها بدهشةٍ وهى تنسِجُ قُماشَها ، فسألها عن اسمِها ، ومن أين جاءت ، وماذا تنسِج . فلزِمتِ الصَّمتَ ولم تَردَّ عليه . فأخبرَها أنّهُ ملكُ تلك البلاد ، وعرض عليها الزّواج منه ، فلم يظفرْ منها بكلمةٍ واحدة : ولكنها نظرتْ إليه نظرةَ امتنان ، مصحوبةً بابتسامةٍ جذّابة . فطلب منها أن تذهبَ معه إلى القصر ، وأمر خدمَه بحملِ كلّ ما نسجتهُ من خيوطِ النّبات ، وكلّ ما جمعتْه من ذلك النبات .

وعند وصولِهما إلى القصر ، عقَد زواجَه عليها

رأت فارسا جميلا بالقرب منها

ومع ذلك ، ظلتْ صامتةً لاتتكلم ، وظلت تشتغلْ ليل نهار فى نسج القُماش .

٦

وفى ذاتِ يوم سافَر الملكُ إلى جهةٍ بعيدة ، فى عملٍ يخصُّ الدولة ، وترك أخاه لإدارة شؤون المملكةِ مدَّةَ غيابه . وكان أخوه شرّيرا ، انتهز تلك الفرصَةَ لاغتصابِ المُلكِ من أخيه . فعوَّل أولا على أن يتخلَص من الملكةِ الجديدة ، قبل أن تُنجبَ لزوجِها ولِيًّا للعهد . فجمع رجالَ الدولة ، وطلب منهم الحكمَ بالإعدامِ على الملكة بحُجة أنها ساحرة ، بدليلِ أنَّها لاتتكلم ، وتشتغلُ ليلاً ونهاراً فى صناعةِ نسيج سحرىّ . وقد تودى تلك الأعمالُ السِّحريةُ بحياةِ الملك ، أو تضرُّ بالبلاد . وفى الحال شُكلتْ هيئة من العظماءِ لمحاكمتها ، وقرروا إحراقَها

حيَّة . وجُمِعَ الحطبُ والخشب وَوُضِعَ فى ساحةٍ أمامَ القصر لإحراقِها بعدَ يومينِ من صدورِ الحُكم .

٧

وكان الملكُ فى تلكَ الأثناءِ يسيرُ فى جهةٍ ما من المملكة ، وإذا بطيورٍ بيضاءَ تحلّقُ فوقَ رأسِه ، وتصيحُ صيحَاتٍ مزعجةٍ كأنّها تناديه . فتذكر أنَّها الطيورُ البيضاءُ الّتى كانت تُلازمُ المِلكةَ فى الغابة ، فعرَفَ أن الملكةَ فى خطر ، وأنَّ الطيورَ البيضاء تناديهِ لإنقاذِها .

وأسرع الملكُ فى الحالِ بجندِه وحرسِه ، قاصداً عاصمةَ البلاد ، فوصل إليها فى الوقتِ المناسب . كانت النارُ قد أُشعِلتْ فى الميدان ، وكان أهلُ المدينةِ ملتفين لمشاهدةِ تلك المأساةِ المُفجعة ، والجنود يجرون الملكةَ لإلقائها فى النار ، وكانت تحمِل فى يدِها عشرةَ معاطفَ منسوجةً من خيوط النباتِ السّحرىّ . فهجمَ الملك

على الجنودِ بسيفه ، والطيورُ البيضاء تُرفرفُ فوقَ رأسِه ، وخلَّص الملكةَ من قبضتهم .

وأسرعتِ الملكةُ وألقتِ المعاطفَ على الطّيورِ البيضاء ، فتحولتْ لتوِّها إلى عشرةِ أُمراء . وفى مثلِ لمح البَصَر ، هجم الأمراءُ العشرةُ على نائبِ الملكِ الخائن فحملوهُ وألقوه فى النَّار .

وشكرتِ الملكةُ زوجَها على إنقاذِها ، وأخبرتْه بكلِّ قصَّتِها . فأرسلَ إلى أبيها الملكِ يُبشِّرهُ بنجاةِ أبنائه وبزواجه من ابنتِه . فكان فرحاً شاملا ، وسروراً عظيما ، فى قصرَى الملكين العظيمين .

المصرى اليوم

إنى المصرىُ ، قلاّ فى المُلِمّاتِ مثيلى
لا وربّى لن أذِلاّ بعد أن بانت سبيلى

لا ولن أرضَى لنفسى بالهوان ، أو لِقومى
قد مضَى بالذّلّ أمسى وأتى بالعزّ يومى
أمسِ ما أقساهُ يوما
سامنَى ذُلاّ وضيما
ورعَى اللهُ صباحاً جاءَ بالعيشِ الجميلِ
إنى المصرىُ ، قلاّ فى المُلِمّاتِ مثيلى
لا وربّى لن أذِلاّ بعد أن بانت سبيلى

قد بلغتُ اليومَ رُشدى وغدا أمرى إليَّا
إن هذا صرحُ مجدى أبتنيـــه بيـــديّا
سوف يعلو فى السماءِ
شامخاً ، ضخمَ البنـاءِ
يبهر الدُّنيا بحسنٍ شائقٍ عمّا قليـــلِ
إننى المصرىُّ ، قلاً فى المُلِمّـاتِ مثيلى
لا وربّى لن أذِلاّ بعد أن بانت سبيلى

سعيد عبوده السحار